شرح احد جوانبها مثلا على حساب جوانب اخرى (وسنأتي على التفصيل في رسالات اخرى لاحقة).

العناصر المتحكمة في مواقف الراي العام الفرنسي

ليس من السهل تحديد الخطوط الرئيسية التي تحكم ردود فعل مجتمع متطور ومعقد كالمجتمع الفرنسي . الا اننا سنحاول ابراز بعض الخطوط التي لها تاثير مباشر على مواقف الفرنسيين تجاه قضايا التحرر بشكل عام والقضايا العربية بشكل اخص .

هناك قبل كل شيء عاملان رئيسيان (ومتناقضان) لا بد من التركيز عليهما : اولهما ، الطبيعة المحافظة (اي المعارضة للتغييرات الجذرية محليا غير المنفتحة عالميا على قضايا التحرر والثورة) لغالبية الشعب الفرنسي ، وبكلمات أدق ،سيطرة الايديولوجية الحاكمة (من خلال وسائل الاعلام والاتصال اي الصحافة والراديو والتلفزيون والسينما مثلا) على قطاعات واسعة من المجتمع الفرنسي . وهذا شأن كافة المجتمعات الرأسمالية المتقدمة ، بشكل متفاوت طبعا ، حيث استفادت الطبقات الحاكمة من خبرتها الطويلة في الحكم ، فتوصلت الى مستوى عال في التحكم بوسائل التأثير والتسيير الجماعي (التي تصل احيانا الى مستوى التخدير) ، وهذا ما يفسر الى حد بعيد مدى التجاوب الذي وجدته « القضية » الصهيونية في هذه البلدان حتى في اوساط الطبقات والاقليات المضطهدة (بفتح الهاء) .

والعامل الثاني المتناقض ، هو وجود تيارات وتقاليد ذات جذور تاريخية تعمل بدورها على تغيير المجتمع وتفهم بالتالي بشكل اكبر مشاكل العالم المقهور والثائر . وذلك يعود للتجارب الثورية المتلاحقة والنضالات الجماهيرية المستمرة التي تخوضها القطاعات الطليعية من الشعب الفرنسي منذ اكثر من قرنين ضد انواع الظلم والاستغلال، ابتداء من ثورة ١٧٨٩ ضد الملكية والاقطاع ومرورا بانتفاضات القرن التاسع عشر (وخاصة انتفاضة كومونة باريس العمالية عام ١٨٧١) وحتى انتفاضة آيار ١٩٦٨ . وهذان العاملان الرئيسيان تغذيهما او تحد من فعاليتهما عناصر أخرى اكثر تحديدا وارتباطا بالقضية الفلسطينية . ومن هذه العناصر المسألة اليهودية وتطوراتها خلال الحرب العالمية الاخيرة ، ومنها ايضا آثار حرب التحرير الجزائرية التي خلفت ردود فعل عنصرية لا يمكن اهمال دورها في تحديد المواقف .

المسألة اليهودية : جذور المسألة اليهودية بعيدة تاريخيا وعميقة اجتماعيا خاصة في اوروبا ، حيث اتخذت ردود الفعل تجاهها وجها خاصا عرف بالعداء للسامية . ولا مجال هنا للخوض في جذور هذه المشكلة الصعبة (ونكتفي بالاشارة الى محاولة البلجيكي ابراهام ليون بتفسيرها في دراسته حول « المفهوم المادي للمسألة اليهودية ») . فالمهم بالنسبة لنا استخلاص العلاقة بين ظواهر هذه المسألة ومواقف الاوروبي (والفرنسي بالذات) تجاه قضية فلسطين . وهنا ايضا تبرز ظاهرتان متناقضتان تتوزعان المجتمع الفرنسي بشكل خاص: الاولى هي ترسخ العواطف المعادية لليهود عند نسبة لا يستهان بها من الفرنسيين ، والثانية هي عقدة الذنب التي نشأت عند هؤلاء بعد المجازر النازية التي ذهب ضحيتها الملايين من الاوروبيين اليهود . وكلتا الظاهرتين ، كما سنرى ، لا تغذيان الا التيار المؤيد للصهيونية .

فبالنسبة للمواطف العدائية تجاه اليهود (العداء للسامية) ، فان كانت منتشرة علانية قبل الحرب العالمية الثانية ، ولها انبياؤها وصحفها وتأثيرها على مجرى الاحداث (كما جرى مثلا في محاكمة دريفوس ، الضابط الفرنسي اليهودي الذي الصقت به تجنيا تهمة الخيانة وذلك في اواخر القرن التاسع عشر) ، فهي اليوم عار لا يصرح به اصحابه الا نادرا . ورغم ذلك ، فقد اظهرت استفتاءات مؤسسات الاحصاء الفرنسية الحديثة ان اكثر من ٢٠ بالمئة من السكان « تتوفر لديهم ظواهر العداء للسامية بشكل مكثف » ، على حد تعبير رولان سادون مدير المؤسسة الفرنسية للراي العام . وفي احدى هذه الاستفتاءات لهذه المؤسسة طرحت على العينة المختارة اسئلة عدة منها :

— هل تعتبر الفرنسي اليهودي الاصل فرنسيا كغيره من الفرنسيين ام لا ؟ وكانت نسب الاجابات المئوية كالتالي : ٦٠٪ نعم ١٩٪ لا ٢١٪ بدون راي .

— هل تعتبر نفسك معاديا للسامية (اي مناهضا بشكل مبدئي لليهود) ؟ وان اجبت بالنفي ، فما هو شعورك تجاه معارفك اليهود بشكل عام ؟ وكانت الاجابات بالنسب التالية : لا ساميون